رواية

إبراهيم صالح

أيام سمان . . . أيام عجاف

كتاب المرسم

يصدر عن إيزيس للإبـــداع والثقـــافة

الإصدارات تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المؤلف

الإشراف العام/ الفنان: أحمد الجنايني

أيام سمان .. أيام عجـــاف

روايـــــة

إبراهيـــم صـــــالح

الطبعـــــــة الأولى

رقم الإيـــداع: 7898/2004

الترقيم الـــدولي

لوحة الغلاف- الإخراج : أحمد الجنــــايني

Mob. 0106798962 –T: 040/ 2972900

" تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال
وأنا أريحكم. احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى
لأنى وديع ومتواضع القلب سوف تجدون راحة
لأنفسكم إن نيرى هين وحملى خفيف "

الإصحاح الحادى عشر
(إنجيل متى)

(١)

المحنـه

يناير من عام ١٩٩١ ، الشتاء في ذ روته / العالم كله يحبـــــس الأنفاس انتظارا لساعة الصفر ، تلك الساعة التي تنشب عندها المعركة ، معركة التحرير والعدوان ......

تحرير الكويت والعدوان علي العراق !!

حينما تتقارب الكواكب والنجوم من بعضـــها البعـــض تعـــم فيضانات كاسحة ، تثور براكين مدمرة ، تنشب حروب طاحنـة ... في شهر أغسطس الماضي راح كوكب الأرض يشتد اقترابه من نجم الشمس العملاق منذراً بنشوب الكارثـــة ، الكارثـة الأرضية التي يـــروح في خضمها آلاف الأرواح.

لا تفرق الحرب بين طفل رضيع أو شيخ مسن أو امرأة طاعنة ، طاحونة الحرب رهيبة تهرس الأبدان بلا تفرقة أو تمييز ....

راحت الغارات تتوالي من الإسرائيليين عقب حـــــرب ٦٧ ، تنطلق صفارات الإنذار ، تهرع أمه بهمـــا هـــو وزينـــات الي الشارع ، صوت الطائرات المغيرة يـــدوي عاليـــاً ، دمدمـــات القنابل كانت تهز أركان البيت ، كان طفلاً صغـــيراً يتجـــرع الشعور بفقدان الأمان ، يتجرعه الآن بدون غـــارات ، بـــدون طائرات مغيرة ، وقد تلاشت أجواء عام ٦٧ والأعوام التي تلتـه وخيمت أجواء الأزمة العراقية ، غـــزا العـــراق الكويـــت في أغسطس الماضي ، زحف عليها بجيش جرار... لم فعل بنفســـه هذا؟ برر لكل تلك الجيوش والأساطيل التي احتشدت لتطحنـــه وتحيله حطاماً ......

الأمان ولي منذ زمن بعيد......

تطويه سعاد في صدرها خوفاً عليه من سماء خطره يختبئ

فيها الموت ...... الآن !!

الموت يقبع في داخله !!

يمارسه كل وقت ، كل دقيقة ، كل ثانية ، الإحساس بالمهانة والضآلة الشديدة هو الموت بعينه ......

حين راحت أزمة العراق تشتعل ، تفجرت براكين محنته أيضاً تلازمت مع محنة العراق ، تساءل كثيراً عن سر ذلك التوازي بلا إجابة منطقية واضحة ، يثور السؤال فيسكت العقل ، يحاول أن يستكشف ما وراء الأمور الغامضة دون أن يسبر الأغوار ، الصحف تحتشد بالعناوين !

" آلافٌ من الطائرات الحربية ترابض في تركيا والسعودية وقطر والبحرين ......

" الطائرات بـ ٥٢ العملاقة تتوجه إلى منطقة الخليج..."

" طائرات التورنادو البريطانية ...."

" البوارج والفرقاطات الأمريكية .... "

تنطلق كلها في اتجاه واحد ، أرض تم التركيز عليها من جميع الجهات بلاد آشور وبابل وسومر ، حاضرة الخلافة العباسية التي سادت في وقت من الأوقات نصف الكرة الأرضية !!

الآن تتوجه إليها كل هذه القوات لتدمرها، لتدكها وتحيلها تراباً ، تراباً غير صالح سوي للقبور ودفن الأموات ...!!

(٢)

منام طويل

١٨ يناير ١٩٩١.

صحا من نومه على صوت البيانات المدوية ....

" العراق ضرب إسرائيل بصواريخ سكود ...."

" احدها سقط فى الرابعة صباحاً ...."

وقع النبأ غريباً على اذنه ، لم يكن يصدقه أو يتوقعه أبدا، هـــدد العراق فعلا إن يفعل ولكنه لم يتوقع أن يسقط صاروخ عـــربى داخل العمق الإسرائيلي بهذه الجرأة وبهذه القـــوة الصـــاروخ سكود أيقظ شيئا ما بداخله ، يشعر بالنشاط والبهجة ، تمدد فى فراشة يتلذذ ببقية النبأ.

" أسقطت الباتريوت الأمريكية المضادة للصواريـخ احـد هذه الصواريخ بينما سقط الآخر ......" سقط الآخر ،!!

هكذا يقولها النبأ ! صريحة ، واضحة والإسرائيليون مذعـورون، يلوذون بالمخابئ ،.يرتدون الأقنعة الواقية من الغازات السـامة . سوف يسجلها التاريخ لهم هؤلاء العراقيين ولن ينساها أبداً .

الشعب الوحيد الذي تجرأ وضرب الدولة العبرية في عقر دارهـا بهذه الصورة الواضحة.

أسرعت الخيول الصليبية بالفرار أمام صلاح الدين، تكسـرت سيوفها أمام متاريسـه الـتي أقامـها علـى حـدود الشـام .... كم كان شجاعاً !

مدينته النائمة هل توقظها هذه الصواريخ ...... ،

لا يعتقدالها ستصحو أبداً حتى لو أغرقها طوفان البحر، شـعبها فى سبات عميق، يبدو له كسبات أهل الكهف البائدين.

كم هو غريب أن ينام المرء ويعود ليصحو بعد مئات السـنين فيرى قوائم عمران لم تكن موجودة أصلاً !

يا مالك الملك ... أين رحمتك بالعباد حتى تترك تلـك المدينـة غارقة فى هذا السبات !،

شبابها أطياف ! رجالها أشباح ! نساؤها صامتات ساهمات ! ضرب علاء الدين مصباحه ، أقام له الجن قصرا طلسماً فى ثوان معدودات وزال القصر أيضا فى ثوان معدودات !

تلك المدينة قامت في سنوات طويلة ، بناها الإنـــس بعرقـــهم وكدهم وهم يحفرون القناة ولا يستطيع أن يزيلها غيرهم .

حين تسأم الفتاة من وقفتها فى أحد الأماكن ، تستبدله صامتــه بوقفة مشدودة فى مكان أخر ...... أيـــن فتيـــات القـــاهرة الفاتنات ، وأين ضحكاقمن الخلابـــــــة الممزوجــــــة بالحياة والنشاط ، الشباب واجمون ، صامتون ،قـــابعون فـــوق المقاهي ، جالسون على النواصي ، ربما يتكلمون، ربما يثرثرون ،لكنه لا يسمعهم..........لا يقولون شيئا يذكـــر ! لهفى عليك أيتها المدينة ......

ذلك الصاروخ الذي سقط هناك فى قلـــب إســـرائيل فـــوق تل أبيب ليته سقط هنا ،يثير النقع وبـــروع الأمـــن ويحطـــم ذلك الجمود .

تحول سكان مدينة فيزوف الإيطالية إلي جمـــاد في لحظـــة عـــين بعد إن باغتهم طوفان مفاجئ من الرماد البركاني، حينما نقبـــوا بعد مئات السنين ، ظهروا تماثيل حجرية في أوضاعهم ســـاعة حلول الكارثة !

يا فرسان العصور الصليبية أين هي ســـيوفكم ، ليتـــها تـــأتى لتنتشلني من منامي الذي طال .

(٣)

عم سليمان

عم سليمان بائع السمنية لن تهزه صواريخ العراق ، يقـــف فى ركن الشارع كل يوم أمـــام مقـــهى نـــور ، روائحـــه تهـــف مع بزوغ ضوء النهار ، يعطف عليه السريحة وعمـــال الميـنـــاء ويفرح به رواد المقهى ، يتناولون سمنيته الطرية قبـــل تنـــاولهم كوب الشاي ،الصباح طلســـم، يأتيـــهم كـــل يـــوم فـــيزيح سواد الليل يوقظهم من سباتهم العميق ، يزول بســـرعة مثلمـــا يأتى بسرعة .

عم سليمان ...... يا عم سليمان .

أين هي سمنيتك الفواحة اليوم ، ضرب العـــراق فعلا بصواريخه الجبارة ونفذ تهديده ،زاغت بطارياته من الـــرادارات الأمريكية، يحركها بسرعة قبل أن ترصدها الطائرات ، لعل هذا الرجل الآن نائم يغط فى شخيره المتعب ، تجاوز عمره الخمســـين بعدة سنوات .

ربما يسحب عربته الآن ويقوم بإعداد بضاعته فالصبح لم يـــبزغ بعد ....

عم سليمان ....

حينما يأتي لن يجد أحدا نائماً فالأحداث الغريبة ربما أيقظتهم،من يدرى ؟

سهام، فاتنة الجيران ، تمشى وتتبختر في دلال وأناقة اعتزاز غادة فى السابعة عشر ، عيونها السوداء جذابة شـــعرها المسترســـل يتموج حتى خصرها ، يستقطب عودها بتقاسيمه البديعة الأنظار حين تمر في الشارع ، يراها فينظر للمستقبل بإشراقة وتفاؤل !

يا مالك الملك ...... أي مستقبل في هذا البلد السقيم المغلـف بالنسيان ،ليتني ولدت ونشأت فى بلد أخر !!

أنفقت نصف عمري لأتعلم وأحصل على مؤهل لا يفيـــدني شيئا ،أُجلس في البيت لانتظر .

ما يدريني ،أدعو مثل كل الناس ، يا رزاق يا عليـــم لســت متواكلا ولا أملك من أمرى شيئا .

يا عم سليمان ، روائحك هفت وموقدك بدأ في بث ضجيجـــه اليومي ، يبعث فى الشارع الساكن الحياة . من يـــدرى ،ربمـــا تتبدد تلك الظلمات التي تتوالى وتتثاقل فوق صدري .

يا رزاق يا عليم...... لست متواكلا أبدا .

إنما لا أملك من أمري شيئا وأنت عليم .

(٤)

رحيل سريع للصباح

استمع إلي حكاية كئيبة مــن أختــه زينـــات عـــن شـــاب فى الثلاثين................. يحمد ربه انه لم يبلغ الثلاثين بعد ، انتحر بشنق نفسه يأسا من الحصول على فرصة عمل .

لماذا تذكر هذه الحكاية الآن أمامه ؟

لعلها لم تقصد أن تحرجـــه ، زوجـــها رغـــم حصولـــه علـــى البكالوريوس إلا أنه لم يستسلم ، عمل فى أحد المخابز يصنـــع كل منتجات الحلويات لا يملك حرفة أو صنعة ســـوى مؤهلـــه

تفرغ منذ صغره للقراءة والتهام سطور الكتب\استثمر فيها كل وقت فراغه، يجنى الآن فائدة هذا الاستثمار!

فى الماضي كان حملة المؤهلات ممجديـــن ، ذوى شـــأن عظيـــم .... اليوم يا لضياعهم !!

حين يربى ابنه الذي في علم الغيب لن يجعله يتعلـــــم ويتـــوه فى دوامة المؤهل بعيدا عن الواقع .الواقع شيء آخر .

ذهبت أخته إلي عملها وأخذت أمه تروح وتغدو فى البيـــــت ، تراه بصحة جيدة ،ولكنها لا تدرى ما بداخله ماذا لو فعل مثـــل الشاب الذي حكت عنه زينات ،

سوف يتركها مكلومة ، محزونة حتى آخر العمر .

ما اقسي هذا الشاب الذي فعل تلك الجريمة ، ألم يفكر فى الآخريـــن ممن حوله ، ولكن ..... ما أدراه بما كان فى داخله وقتها ، ربما كان الجحيم ذاته فى جوفه ! حينها يكون الموت راحة ورحمة وجنة فيحاء وعذاب الحياة وشقاؤها لا يستحقان أي عناء .

الباعة تحت البيت واقفون على بضاعتهم يهزرون يتضاحكون كأن شيئا لم يحدث ، !

يصيح الشاب حامد بائع السمك على الناصية المقابلة للبيـــــت أمام مقهى نور:

– ملعون ابو اليعمل للدنيا حساب اديها بالصرمة ودوس عليها

يبلغ به الاستهتار كل مبلغ ! ولما لا يفعل ، زبائنه كثـــيرون ، ينصرف فى آخر كل يوم ،جيبه منتفخ ، لماذا لا يهزر،! لا يهتم أحد في هذا البلد بضرب العراق .

– العراق ضرب إسرائيل ، القيامة هتقوم يا جدعان .

قالها حامد بسخرية وهو يضحك ببلاهة

رد متولي البائع المقابل :

– خليه يدهسها ، يفرمـــــها ، ده شـــعب مفـــترى ملـــهوش غير الحرق .

– يا راجل وهيه أمريكا هتسيبه برضه ، طب بكره تشوف .

الحوار يـــــــــدور لذيذاً ، شيقا رغم ســـوقيته ، أرضيـــة الشرفة الخشبية جأرت من أقدامه التي تقطعها ذهابا ، إيابـــا ، أمه تملؤها السعادة بوجوده فى البيت آمنا ، لن يضيرها إذا مـــا منحته بضعة جنيهات كل أسبوع من معاشها الشهري .

فرصة عمل يارب ....فرصة عمل يا رب .

عم سليمان رحل بسمنيته فقد صعـــدت الشـــمس وهـــددت ولفحت الجباه وما عاد للسمنيه مكان بعـــد أن ولى الصبـــاح واقتربت الظهيرة .

(٥)

سهام

تطل سهام ، بيضاء كالشمع ، جذابة كالقمر ، رقيقة كالنسيم العليل يهب على واحة أنهكها العطش ، عيناها النائمتان أطلتا عليه ،أسقطته في هواها،فجأة أطلت من شرفة البيت الجديد.

أين كانت قبل ذلك ، يسمع عن قرابتهم لبائعي السمك في الشارع ، البيت الجديد ظهر فجأة ، أطل عليهم بتحد ،هم قاطنو البيوت الخشبية .دقات قلبة تتسارع وكيانه كله يرتجف ، مضت فترة المراهقة منذ سنوات ولكن سهام الفاتنة أرجعته إليها مرة أخرى ، يرتجف كيانه كلما رآها .

يرغب في أن يواعدها بعيدا عن الشارع ، هل تتقبل منه ذلك ؟ ربما لا تراه فتى أحلامها ،البنات في عمرها لهن أحلامهن ! تحمل كتبها فى الظهيرة عائدة ، تدخل فناء البيت ، يستطيع أن يتعقبها فى الصباح عندما تنزل وتبتعد عن الشارع ثم يحاول مخاطبتها

ماذا لو جرحت كبرياءه ، لن يغفر لنفسه أبداً هذه الفعلة .

تناغمات خلابة تجري فى دمائه ، تلتقي عيونهما ، يشعر بالنشوة ويحب للحياة . تتشاغل عنه بمخاطبة أيمن ، شاب فى العشرين،

أحد أقربائها من بائعي السمك ، يمتلك أبوه مزرعة سمكية ومحل كبير وعربتا نقل سوزوكي ، مفتول العضلات ، سريع الغضب والعدوان ، يحمل على الدوام مطواة قرن غزال فى خصره ، يشهرها فى الوجوه كلما انطلق إسار غضبه وتفجر بركان عنفه ، يتوجه إلي

مدخل البيت حاملا لفافة كبيرة ، يغيب فى بطن المنزل .صعد إليهم!!

هل تحبه سهام؟تساءل ، يظهران معا فى الشرفة ،ينادى على أحد أتباع والده بصوت جهورى ، يلفت الأنظار إلى وجوده لديها ، ينظر إلي أحمد شذرا بتحد، نظرات استعداء صريحة ، تصيح أمه ، ينسحب ....

يزدرد طعامه فى آليه ، هل يفوز بها ؟

لماذا تختاره دونما أيمن بشبابه وجيبه المنتفخ بالنقود

ربما تبادله العاطفة وتشعر بما فى داخلة ، كيف يعرف ؟

يفرغ من شروده على صوت أيمن الجهورى الخشن وهو يملأ الشارع من جديد يرقبه من خلف الشرفة ، يلعب بالمطواة مع قرنائه بتسلية ومتعة كبيرة !!

يشعر بالقشعريرة تسرى فى أوصالة ، يتساءل ....

كيف يستطيع أن يكون غريمه ؟!

(٦)

الشتاء

في الرابعة عصرا يترل ، تقوده قدماه إلي الشاطئ يتجول ،يعبث بالرمـــال ، بالأصداف ، ينظر إلي المـــوج المتعاقب ، الوقـت يناير من العام والشتاء في ذروته ، لا أثر لقدم تدب أو نفـــس تسعى ، تلوح له هدى ابنة خاله ، تدعوه للترول ...... تعـال .. تعال ، البحر جميل .

علي الرغم من أنه يهاب البحر يترل ، تداعبه بالرذاذ المـــالح ، يهرب من الشذرات المتساقطة ، تسبقه في الســـباحة ، تسـبح كالسمكة .ارتبطت الآن بطبيب يستطيع أن يحقق كل أحلامـها وطموحاتما ، الرمال ناعمة ومبللـة

بالماء ، يطفو عليها مد البحر أثناء الليل ثم يعود لينســـحب فى النهار ، تدعوه ليلحق بها وهى تضحك ملء ثغرها ،يذهب إليها بطيئا بأنفاس لاهثة.. أين أنت يا هدي الآن ؟

يرمي الصيادون شباكهم ، يأملون فى بعض الرزق علي الرغـــم من ارتفاع الموج وقسوة البرد .

تعبت أمه كثيراً ، كان وزينات محور حياتها كلها ، أودته الرغبة أن يدب معهم على الرمال بجسده النحيل .

هل يستطيع ؟

فوق أحجار اللسان قبع ، يرقب زبد الموج الصاخب المتكســو فوق الصخور ، يلوح له وجه هدى ، يقبلها فى فمها الخمـــري العذب ، يغوص فى عينيها العميقتين ، تأخذه فى أحضانها ، ينــام ، يستغرق فى النعاس ، تفزغه موجه عاتية ،يتطاير رذاذها علـــى ملابسه ، يكتشف أن الليل بدأ فى الهبوط وان حرس الحــدود لابد سيمرون، ينهض بتثاقل، تقوده قدماه إلي ممشى ديلسـبس ، يكتشف أن بداخله خواءً كبيراً وفراغاً لا حد له . تمر فتاتـــان فى السابعة عشرة تتأبطان بعض الكتب المدرسية ، تنظران إليــه ضاحكتين ، جلستا أمامه بعض الوقـــت ثم مضتا ، يكتشف أنـه وحيد ، تملؤه وحشة رهيبة.

تسارع خطواته بعيدا تبحث عن الصخب ووهج الحياة.

أتيت إلى بابل ولكنى لم أرك

فكم أنا حزين

(لوح فخار بابلى)

(٧)

المساء المتأخر

– العراق ... ضرب إسرائيل مرة أخرى.

– متى ؟ سأل بلهفة جاره على المقهى.

– فى الرابعة عصر اليوم .

فعلها العراق بالصواريخ مرة أخرى ، دك العـــدو الإســـرائيلي الذي طالما أغار على الدول العربية من حوله وكـــانت ذراعــه الطويلة تصل إلى أي هدف بعيد ، دمر للعراقيـــين مفاعلـــهم النووى " اوزيراك " عام واحد وثمانين ، مكثوا يبنون ويعلون فى صرحه سنوات عديدة ، فى لحظة تقصفه بضع طائرات وتســويه بالأرض !!

ينتقمون منه الآن ...... يد كونه فى عقر داره .

فعلها العراقيون بينما أتجول على الشاطئ لا أفعل شيئاً ، المقــهى مضاء بالنيون ،يضج بالحركة والحياة ،زهر النرد يتساقط، يعقبـه صياح فى كل مكان وفى كل ركن .

أقبلت عليه بوجهها :

– حاجة لله يا بيه .

تعجب ، كل هذا الشباب النضر وتمد له يدها ، تخجل عيناه من جمالها ، بينما يناولها قطعة معدنية رخيصة كانت تذهب لآخـــر ، تعجب من تسول امرأة في الثلاثين ، بيضاء ، جميلـــة. ربمــا لا رجل لها ،! من يحميها ، السوقة كثيرون والســـفهاء أكـــثر ،

ذئاب الشارع الناهشة لا ترحم فريسة مثلها أبدا رنـــت في أذنيــه حكاية أمه عن امرأ تائهة العقل كانت تسكن بمفـــردها في إحـــدى العشش في أطراف العمـــران وكان رجال المخانـــات يتناوبونها تصرخ وتصرخ. وحين ينفعل يقول لأمه :لا احد يدافع عنها ، تقول له : من يدافع ومن يرحم ،

ظهرها يبتعد، تهرول أقدامه قبل أن تذوب فى الطريق.

يقول لها : مش احسن تبعدي عن هذا الطريق .. يبادرها لاهثاً.

تقول له : أربى أيتام وما ليش مورد رزق .

لا يستطيع لها شيئاً مثلما لا يستطيع لنفسه. بينما هو قابع علـى المقهى سمع الجملة ...... " هوه يعنى العـــراق فـــاكر إيـــه ، أمريكا هتسيبه "

تتهاوى أنباء الراديو فى المساء المتأخر .

" الطائرات الأمريكية تدك العراقيين ، تغير بالمئات علـى الأهداف والمدن والمواقع العراقية "

يسمع الصراخ والعويل وبكـــاء الأطفـــال ، يـــري الأشـــلاء والمســـاكين مرتمـــين هنـــاك فى الشـــوارع وعلـــى قارعـــة الطريق تلطخهم الأوحال ، والطائرات من فوقـــهم تدكـــهم وتضربهم بلا رحمة .

(٨)

التوهم

مارس ١٩٩١ ...

" العراق يمتثل لقرارات مجلس الامن "

" الأسرى العراقيون بالمئات "

" ملجأ هدمته الطائرات الشبح والتورنادو البريطانيـــة علـــى من فيه "

" العثور بين أطلال الملجأ على عشـــرات الجثـــث والأشـــلاء لأطفال ونساء وعجائز "

نحى الصحيفة جانبا ، خرج إلى الشرفة يملأ صدره بهواء نقـــى يعيد له ذهنه المغيب ، مضت عليه أيام كثيرة منذ تم تعيينه بالشركة ، ما عاد عاطلا تستبد بتفكيره فرصـــة العمـــل وتكاد تصيبه بالجنون ، أمه تجلس ، ترقب حركة السوق حـــين يهبط المساء ، يغرق الشارع فى أضواء الفوانيس ويســـــري في جنباته ضجيج البائعين.

ابتسمت بينما يجلس قبالتها:

– عامل إية في الشغل ؟

– ما شي الحال .

– إحمد ربنا وإمسك فيه بإيديك واسنانك إحنا ما صدقنا تلاقيه .

– بماذا يخبرها ، لم تمض عليه سوى أيام .

علي الرغم من هذه الايام ....

يشرد كثيرا ......

محبط للغاية ....لا يستطيع أن يخبرها بذلك ،سوف تحزن لأجله .وتتكدر تلك السعادة والهناءة التي غلبت عليها هذه الأيـــام.

فرحت لعمله كثيرا .

ربما أكثر مما فرح لنفسه !

كل عذاب دراسته من أجل أن يصبح محزنجيـــا يقيـــد أوراق الصادر والوارد لا غير .... عمل رتيب !!

يحدق دوما فى فضاء الشرفة التي أمامه كالسجين!!

أصناف الجمبري الطازج تتكوم على طاولات السمك، أنـــواع البربوني والوقار ، رغم ذلك ! حركة البيع والشـــراء هادئـــة والزبائن قليلون .

تنبه على صوت أمه يرن في أذنيه :

- خالك فاضل له كتير ،

تأسي لحزن لهجتها . ليته يأتى حقا لأجلها ،لا يأتى إلا في يونيـــة غالبا للمتعة وقضاء الصيف ، تشتاق إليه ، يشعر بها

– باقي له شهران على الأكثر

لمح الشعر الأسود يتحرك في الشرفة ، أصعدت نحـــوه عينيـــها المرسومتين ، بياضهما يشرق في العتمة ، أضواء

الشارع المتسللة إلي وجهها تضفي عليه هالة من السحر والفتنـة ، تمكث ساكنه فى الشرفة .

سهام ، يناديها فى صمت !

تحنى رأسها على حافة الشرفة ، توجه نظراتها إليه من وقت لآخر ، رغم العتمة يلحظها ويحس بها ، .يرقبها فى دعة واستسلام ، يحلم .

تنهض أمه لبعض الشؤون فى الداخل ، تنصرف هي أيضا ، يبقي وحيداً فى الليل . يستمع إلي آخر الأنباء.

"عدد القتلى العراقيين فى الغارات يصل إلي مائة ألف قتيل "

" العاصمة العراقية بغداد تجتاحها الأوبئة ، المخاطر تزداد من تفشي وباء الكوليرا ، الطاعون "

"الأمريكيون يفرضون منطقتي حظر شمال وجنوب العراق "

وطائرات التحالف تحلق فوق العاصمة المنكوبة ، بقية المدن العراقية المدمرة "

يدرك أن لا أمل لصدام حسين بعد الآن .

تعتصر قلبة الأحزان .

يتذكر الزعيم عبد الناصر بوطنيته وتجمع العرب من حوله .

يرقب نافذة حجرتها .

لا تزال مضاءة .

يشتم أخر أنفاس الليل الرطبة .

يحصي عدد الأيام التي أمضاها فى العمل .

(٩)

السجين

تمايلت أغصان الصفصاف الفارعة أمام عينيه ، أحنتها موجات من هواء مارس العنيف المتقـــلب ،لازال الشتاء يفرغ ما فى جعبته من أنواء ويعصف به أيضا ،دخلت وفاء الغرفة . فارعة الطول، متناسقة القوام، قالت له وهى تناوله بعض الأذونات:

– حتخرج الاذونات دي النهارده .

بينما يسجلها فى دفتره برز له وجه سهام الرقيق ، تغلفه طلاســم لا يستطيع أن يفك عقدها ، ملابسها الفاخرة ، أقرباؤها بــائعو السمك ، عرباقم الغالية ، طباعهم الغليظة

تلاشت تقاطيع الوجه خلف الغمام الكثيف الذى تجمع فى سمــاء نافذته ، تطلع الى المدينة البعيدة بمبانيها العالية .

يجلس الآن بالساعات الى مكتبة ، يدون أذونات
الصادر ، الوارد فى السجلات .
فى ردهة المصلحة تراصت غرف المراجعة والحسابات والمبيعـات
، قسم المخازن الذى قبع بداخله ،أقبلت وفــاء مــرة أخــرى
تتمايل فى استعراض تدغدغ غرائزة المكبوتة بمكياجها الصــارخ
ومفاتنها البارزة ، مدت له يدها بورقة قائله :
– المدير العام عاوزك تقيد هذا الأذن وتوقعه.
عقده فى العمل بسته أشهر ، بعد انتهاء الفـــترة قــد يرحــل
يقولون له مع السلامة ، دوّن الأذن فى رتابه بعد ان راقبها وهى
تتهادى منصرفة.المهندسة سناء تجتاز ساحة المصنــــع بأنوثتـــها
الكاملة يسأل بلهفة : من هذه ؟
قالوا : مهندسة الإنتاج .
ظلت مهندسة الإنتاج فى مخيلته حتى عاد الى البيت بعد مقابلتـــه
الاولى مع المدير .
قالت له أخته : ما رأيك فى العمل الجديد ؟
أجابها بحماس زائد : جميل .
كانت سناء فى مخيلته تعبر بجسدها الناضج وردائــــها الشــبابي
الأنيق وتحدق فى رفعة وثقة بنظارتها السوداء الغامضة .
لم تخف النظارة أعوامها الثلاثين !

يجلس على دفاتر الصادر والوارد ، تخرج من المخازن قطعة حديد بإذن صادر ، وتدخل أخرى بإذن وارد طوال النهار حتى قرب المغيب .

يحدق فى فضاء الشرفة المقابلة لمكتبة ، على البعد مدينته بمبانيها العالية ، علي الرغم من اتساعها ضاقت بأمانيه وأحلامه !

الأستاذ فوزى المدير العام ، عزه سكرتيرته المفضلة ، وفاء السكرتيرة الثانية ، الأستاذ علوان رئيس المخازن ، شمندى عامل البوفيه يأتيه كل يوم بساندويتش فول وطعمية ، يعقبه بكوب شاى أسود ، سميرة بنت غلبانة لم تتخط السابعة عشرة ، لا تتركها عيون الموظفين النهمة دون أن تتفحص تضاريس جسدها النحيل ، تحاول أن تتخيل ما تحت الملابس البسيطة.

محاسن لعوب ،تتلوى فى مشيتها ، تتقصع فى ضحكتها تتفنن فى تضييق ثوبها ، تلبس ألواناً صارخة ، مثيرة ، تأتى كل يوم للموظفين ، تتضاحك مع هذا ، تتماجن مع ذاك ، يقولون ، "كانت مثل سميرة تعمل فى البوفيه مع شمندى ثم تركته وعملت فى الإنتاج" .... يا بخت بتوع الإنتاج !!

لازالت عيناه تحدقان بعيدا فى فضاء الشرفة ، تهرب من نظـوات علوان الزجاجية وهو يصوبها نحوه مســتطلعا ســر تحديقــه فى الشرفة وفى الفضاء البعيد !

يرقب الأستاذ نبيل زميلهم الثالث فى الغرفة وهو يدون بأنـاة فى سجله الأنيق ، يركب عربة فاخرة ، يقطن بأرقى أحياء المدينـة ، أنفق حصاد خمس سنوات بالخارج فى شقة وسيارة !

يذبحه علوان كل يوم حين يخرج من الحجرة ....

" هوه بيعمل إيه ، قاعد عواطلى! ، أحسن له يقعد فى البيـت ، هوه بيراذينا بخلقته ليه ، طالما مش محتاج جاى ليه!؟ "

يدخل نبيل ، يسود الصمت ، ترتسم الابتسامة الزائفة فـــوق الوجه " يا نبيل يا حبيبي ، شوف فوزى عاوز يعمـــل إيــه ، الراجل ده ظالم ، مفترى ....!!! "

ربما يفهمه نبيل ، يلتزم الصمت معه أغلب الوقت .

لا يكترث نبيل بشىء ، لا بــالمدير ولا بعلــوان ، و لا بــأى شخص ، حينما يضيقون عليه الخناق يقول عبارته الشهيرة :

" اللى عندهم يعملوه " ، لا يعملون له فى الغالب شيئا!

أخوه الحاج على .... مدير الانتاج .

أين من يستند اليه فى هذا البحر الغيام.

لا تدع الرحمة والحق يتركانك. تقلدهما على
عنقك. أكتبهما على لوح قلبك. فتجد نعمة
وفطنة صالحة فى أعين الله والناس
العهد القديم

(١٠)

البوابة الحديدية

((الإصلاح الاقتصادي)) ((الاقتصـــــــــاد الحر)) ((بيع القطاع العام)) ((الخصخصة)) شعارات يرى أثارها علـــى الطرقات والأرصفة أعدادا كبيرة من المتســـولين والمعدمـــين تشوهات عديدة ومسخ من البشر يجولـــون في الطرقـــات ،

قرأ عن مستشـــفى الأمـــراض العقليـــة الـــتي انفتحـــت أبوابها عن أخرها ، تلفظ مرضاها الى الطرقات ، تقذف بهـــم إلي الضياع !!! من يكترث حقا بهذا البلد ؟

حين يجول بالطرقات تشتعل أفكاره ، المحلات ساهرة حـــتى الصباح ، تعد العدة لتهريب البضائع في الفجـــر ، تلحـــق بالوردية المبكرة التي يتم تغييرها فى الثامنة صباحـــا ، هكـــذا تعيش مدينته ....

يلحق أيضا بوردية الثامنة ، يدلف إلى المصنع المحكمة أســواره و أبوابه ، تنغلق سيرته من الحياة حتى المساء .

حينما دخل المصنع للمرة الأولى كان متلهفا ، تحدوه رغبـــة قوية فى العمل و الخروج إلي الواقع، رغبة في الاعتماد علـــى النفس ، مر علية الآن ثلاثة أشهر كاملة .

صار يمقت كل شيء فيه ، المدير ، سكرتيرته المقربة عـــزه ، سكرتيرته الثانية وفاء ، الأستاذ علوان ، الأستاذ نبيل ، صـــار يمقت ماكينة الحضور و الانصراف ، موظفـــو الأمـــن علـــى البوابة ، كلهم مرتشون !

يصلى أغلبهم حين يرتفع صوت المـــؤذن بـــالنداء فى مصلـــى المصنع و على رأسهم المديـــر بوجهـــه الأحمـــر الســـمين و أردافه الممتلئة .

يرسمون جميعا الفضيلة ، التقوى !

شنت أمريكا الحرب على العراق و دمرته في عاصفة الصحـــراء تحت ستار الشرعية و اتخذت التحالف الدولي غطاء لأهدافها.

ينكب على سجلات المخازن بالساعات ، يمـــلأ الصفحـــات بالأصناف و يدون الوارد ، الصادر.

يغادر علوان الغرفة ، يتجول في ردهة المصلحة ، يتمـــازح مع الزملاء والزميلات في الأقسام الأخـــرى، يجـــرى إلي حجرة فوزي بالأوراق التي تم إنجازها ، يعطـــى التمـــام ، يجنى الثناء و الشكر :

– يافندم تعبنا كثيرا وربنا أعلم .

– برافو علوان ....

يحكون عنه من يكونون بالغرفة وقتها ، يعود بالأوامر، بضحكـة صفراء كبيرة يوزع الشغل الجديد ، لا يقترب من نبيل !! .

تدخل سميرة كل صباح بعودها النحيل ، بشـــرتها الســـمراء ، ابتسامتها الباهتة ، تضع أمامه كوب الشاي ، لا يعيرهـــا أدنى

اهتمام ، بعضهم يتوغل معها في المحظور من الكلام وهى تتقبلـــه شاكرة ممتنة .

حين تأتى محاسن لتعرض نفسها أمام مكاتبهم ، توزع ضحكاتهـا و همساتها على الجميع ، يسمع إن بعضهم يرافقـــها ، ترتـــدى الفساتين الغالية ، الإكسسوارات المبالغ فيها ، لا تأتى إليـه ، ود لو يخبرها كم هي بليدة ورخيصة ....

نالت سناء احترامه ، إعجابه .

و لكن ....، ؟! يجلس يفكر فيها بالساعات قـــالت لـــه زينات : عاوزين ينقلوك المخازن نفسها .

لم يصدمه النبأ ، يريدون التخلـــص منـــه بإبعـــاده ، لم يستمرئوا صحبته وتحاشيه مخالطتهم ، عم شمندى يجلـس في البوفيه لا حول له و لا قوة ، كل شئ ســـــقيم ، ممـــل ، الإدارة كئيبة إلا من حجرة السكرتارية ، وفاء ، عـــزة !! ألوان مكياج صارخة ، عطور فجه ، أزياء علي كل لون ، تدخل عزة حجرة المدير و تمكث فيها بالساعات ، تدخـــل بملف في يدها و تخرج به وهـــــى تضمـــه إلى صدرهـــا ! الأقاويل عنها تملأ الإدارة ، زوج عزة لا يهتم بشــــــيء ،

يعمل بعيدا فى الإنتاج مع العمال ،لا يدرى ما يحدث لزوجتــه ، وربما يعلم !

الأقاويل كثيرة عن عمالة المصنع ، خط الإنتــاج ، البنــات في التعبئة ، يتردد أهن مع ملاحظي ومشرفي العمــل سمنــاً علــى عسل، أحد المشرفين ضبطوه مع إحداهن فى إحدى الغـــرف ، أخريات ضبطن فى شقة يمارسون الدعارة ، قام المصنع بفصلــهم ، ثرية ، علية ، منيرة ،....لم يخسرن شيئاً بالفصل!!!

لا تتورع محاسن عن ذكر أسمائهن ، تتلاعب بمخيلات ذكـــور الإدارة ، تدعوهم جميعاً إليها !! وفاء لا ترى ، لا تســـمع ، لا تتكلم ، تدخل عزة وتغيب بالساعات عند فوزي ، يغلق بـــاب مكتبة من الداخل ، هي لا تمتم ، تحتفظ بالفضيلة داخلها !

تتقيد بسوار في معصمها ، خاتم خطوبه في إصبعها ، تريـــد أن تتزوج ! ... شباها النضر ومكياجها الصارخ وملابسها الأنيقة رشحوها للجلوس في الحجـــرة الناعمـــة الوثـــيرة ، حجـــرة السكرتارية، تستقبل المدير ببسمة جذابة ، تودعه بكلمـــــات رقيقه ، تمتم عزة بالباقي !!

– سيادتك إللى تشوفه ! حضرتك إللى تأمر به !!

– زى ما تقول سعادتك حنعمل !!! انتابـــه القـــرف ، طفـــح به الكيـــل.

سالم هو الشاب الوحيد الذي رأى فيه وجها ناصعا ، نأى

ينفسه عن الزيف ، النفاق ، يسير في معاملاتـــه كالســـيف ، ينطق بالطهارة ، الصدق ، رافقه وصاحبه معظم الوقت حـــتى اكتشف انه ملتزم للغاية ، ما إن ينهى ساعات عملـــه حـــتى يذهب سريعا ليلحق ببيته و تاكسي والده .

يبقى وحيدا ، يسخط على المصنع و علـــى الإدارة و علـــى المدير فوزي ، على علوان المنافق وعلى نبيل المســتهتر ، مـــن يدرى ؟ ربما هو الوحيد الذي فهم المعادلة كما يجب فلا شـــيء يستحق أي مبالاة ، المحصلة النهائية لأي شيء هي العدم !

قرأ اليوم " إن فرق التفتيش سوف تدخل العراق ، تدمر مـــا لم تدمره صواريخ الكروز أو التوماهوك الذكية ، تمحي ما لم تمحه الطائرات و القنابل الموجهة بالليزر ، حينما كانت حضارة بابل مزدهرة ، تبنى الصروح المشيدة و ترفع أســـس العمـــران و التمدن ، كان الغرب قبائل من البربر تعيـــش بـــلا نظـــام ، بلا ذكر .

انقلب كل شيء !!

قد يلتقى يوماً و سهام من يدرى ؟

حين أغلقت بوابة المصنع من ورائه تطوى اليوم الأخـــير مـــن الثلاثة أشهر وقف وراقبها ، صلدة ، كئيبة، سرت بـــرودة فى جسده منها حينما تخيل أنه سوف يعود إليها فى صباح غـــده ، بعد غده حتى تنتهى فترة الستة أشهر وربما بقية حياته كلها.

(١١)

ابتهال

تفكر طوال الليل ، مسهدة لا تنام ، تقلق عليه وهى تراه أمـــام عينيها متعبا ، غائر العينين لا يهدأ له بال ، قال لها : لن أذهـــب غدا إلى العمل .

انخلع قلبها ، قالت له تستطلع ما بداخله :

– إذا كنت تشعر بالتعب فاسترح ، بناقص يوم.

راجع نفسه قليلا وتروى قبل أن يقول :

– حشوف.

هدأت قليلا ، لم يتطرق فى كلامة الى ما هو أبعد ، خشيت أن يتفوه بغير ذلك، تعذبت كثيرا لأجله ، بعثت لأخيها تحكى عنه ، لم يرد أخوها بشيء .

حين أخبرها زينات بهذه الفرصة فى المصنع طارت من الفرحة قالت لنفسها : أخيرا سيرتاح .

تراه متعبا ، السواد حول عينية رقعته تتزايد يوما بعد الآخر، تحكى لها زينات عمن يشنقون أنفسهم ، تخاف عليه أن يتهور ، الشيطان شاطر ، طالت قعدته منذ تخرج و حصل على البكالوريوس.

حين مات أبوه احتضنته وزينات ، جاء أخوها ووضع فى يدها مبلغا من المال ، لم تنقطع مساعداته وهباته حتى كبروا و شبوا عن الطوق ، لازالت فى حاجة ماسة لمساعدته علي الرغم من ذلك ...

ابتهلت الى الله كثيرا حتى استجاب لدعائها بهذا العمل ، أموره استقرت فى الأيام الأولى ، انفتحت شهيته للطعام ، تبددت عصبيته الزائدة .

كل هذا لم يلبث أن راح ، انقلبت أحواله و أصبـــح يميـــل الى العزلة ، الاكتئاب ، تعرف ابنها جيدا ، تحفظه عن ظهر قلــــب توقن أنه فى محنة .

قالت لها زينات " أعطوه عملا تافها "

كلمت لأجله المدير ووعدنى بالاهتمام به "

زينات ابنتها لا حول لها و لا قوة قالت له :

– اصبر بكره يتغير الحال ، يعطوك حقك .

زينات تخبرها بكل شيء ، لا يتودد الى مخلوق، هناك نفـــوه الى قسم المخازن بتجاوزاته و سرقاته ، ذهب الى قسم الإنتــــاج و حادث زميلتهم سناء .

وزميلتهم المهندسة لا تتناسب معه أبدا .

" إنه لا يحب العمل " هكذا قالت لها !

تـــرى مــــاذا ســـيفعل لـــو تركـــه ، أيـــن ســــيذهب ، لا أحد لـــه

يــــا رب ....

ابتهلت ....

(١٢)

غيوم على وجه القمر

بعد أن هجعت أمه جلس يفكر ، رأف بحالها أن تظل طـــوال الليل مسهدة ، لماذا يشغلها بأمره فى هذه الســـاعة المتـــأخرة ؟ ينظر الى النجوم المضيئة فى كبد السماء، تتراءى له بوابة المصنـع الحديدية من خلفها المدير يمارس الفحشاء بسلطته ومنصبه تحـت أعين مرءوسيه المتسترين عليه ، سوف يستمر تاجر الخردة يأخذ أصنافا من البضاعة السليمة ضمن حمولته الأسبوعية بعلم المدير و الزوج المتغافل سوف يبقي على حاله تستعبده و تمحو كرامتـه لقمة العيش .

لن يعود إلى كل هذا مرة أخرى .

الشاب سالم لن يظل هكذا الى الأبد لابد أن تتســـخ ملابســـه البيضاء يوما ، و أن يتداخل معهم فى أمورهم ، عزلته لن تحميـه سوف يلتفون من حوله و يحاصرونه، لا يطيقون وجود النظيـف بينهم، نبذوه الى المخازن حتى يكون بعيدا عن عيونهم.

الشوارع خاليه ، مظلمة ، تعبث فيها فئران ضخمة لا رادع لهـا ، فقط قطط عابرة تبتعد عن طريقها وتجنح إلى السلم !!

ماذا يكون مصيره ؟ !!

عدة شهور قضاها هناك ، يصحو فى السابعة، يرتدى قميصـــا لامعاً و سروالاً مكوياً أنيقا ، يذهب الى الشركة فى الثامنـــــة ، تنغلق البوابة من ورائهم ، لا يرون العالم الخارجى مرة أخـــرى إلا فى الرابعة، يتحول كل منهم الى كارت ممغنط مقيد به الرقم و الاسم و الوظيفة و ساعة الحضور ، يرضخ للروتين ، يبتلعـــه علوان و يقبض الثمن ، يبيعه كل يوم عند المدير ، كل سـلعة وكل دقيقة يأكل عرقه ، يدرك ذلك جيداً ، ينحنى ظهره فوق مكتبه بينما الآخر عند فوزى ، يعود من عنده متهلل الأسارير ، معقودة يداه خلف الظهر ، تشمخ رأسه لأعلى ،يظل بلا عمـــل طوال اليوم .

فقط لو صار شخصاً آخر غير ما اصبح ؟

تقول له زينات : باقى لك ثلاثة أشهر بعدها يجددون لك العقــد المؤقت بآخر حتى تعلن الشركة عن مسا بقـــة للتوظيـــف .

يا للسخرية ، هل يتحمل كل هذه الفترة ؟ هل يتحمل كـــــل هذا الرياء وكل هذا الظلم ؟

يسمع رتابة أنفاس أمه الآمنة من خلف الأبواب .

المهندسة الجميلة سناء تبدو له من قلـــب النجـــوم ، وجهـــها الملائكي يدعوه للاستمرار ، عدم الاستسلام ...

لا تترك المصنع ...... همس له من وسط السـحب يتغلغـل الصوت في أعماق روحة .
تقول لها زينات مازحة : اخى معجب بك .
فتجيبها : لا يزال شابا و المستقبل أمامه كبير .
تكبره بخمسة أعوام ، هل يستطيع أن يقـترن بهـا ؟و سـهام الضائعة ، المصنع ، العمل البغيض ، التشرد الذى ينتظره !!!!!
" لا تترك العمل وتبتعد عن الاستقرار " تلاطم فى بحـر عـال مخيف حيث الضياع .
الصوت يرن قويا بداخله ، لكنه مختنق ، مكبل ، الهواء هنـاك فاسد ، عفن .
البوابة الكئيبة تجثم على الدوام أمام عينية ، المديـر بصورتـه المكتنزة الكريهة ورياء وجهه الظاهر ، أمثاله يجب إعدامـهم فى ساحة عامة أمام الجماهير ويعلنوها صراحة :
– نعدمه لريائه و فسقه ......
تراقب عيناه سحبا بيضـاء فى السمـاء ، تتناثـر ، تزحـف على قرص القمر غير المكتمل ، تحجب عنه الضـوء تدريجيـا الليلة يتحدد كل مصيره فى الأيام المقبلة .
تكدرت سحنة القمر ، خيول شاردة على وجهه ، فرسان مـن عهود سحيقة تتبارى فى ساحته ، رماح تنطلق ووحوش كاسـرة عملاقة فاغرة أفواهها تتقاتل يتبدد كل ذلك الغيم .
يعود فيرسل شعاعا هادئا.

أماه، لقد رأيت في ليلة البارحة حلماً
كانت السماوات حاشدة بالنجوم،
وكشهاب آنو الثاقب، واحدة منها انقض
علي، رمت رفعه فثقل علي، حاولت
إبعاده فصعب علي.

(جلجامش)

(١٣)

في قلب العاصفة

رأيتني فى المنام أسبح في بحر متلاطم ، يحملني مـــوج كالجبـــال وتزحف نحوى أطنان من المياه من موجة عملاقـــة انقلبـــت ، أغوص منهزماً فى قلب الظلام وسط المياه الكثيفـــة المعتمـــة ، أصرخ ، أنتفض ، أصحو فزعاً.

وقفت أمي فوق رأسي تقرأ المعوذتين .

– يا أمي رأيت ....

– استعذ بالله من الشيطان الرجيم.

كدت أموت !! قال لنفسه.

" خاله لم يرد بعد على الرسالة التى بعثها ومرفق بها أوراقـــه " ردد شبه محموم ، الوقت ليلا ولا أحد يسمعه.

ذهبت أمه المتعبة لتعاود النوم الذى لن يعاوده ، صبرى رفيقـــه انتظره اليوم ، صار يذهب إليه كل يوم، يجلس على الرصيـف ، يتطلع فى عجز الى الحياة التى تتحرك أمامه ، مدير المصنع فـوزي أرسل من يطلبه ويعرض عليه الرجوع ، يوقنون أنه لن يعـــود ،

يجاملون أخته زينات ، يناوشون كبرياءه لا غير ، يعرفون شـدة احتياجه للعمل !!
يقبع فى البيت معظم الوقت ، من بـين الحين والأخـر كـان يرقب الشرفة من أمامه فى البيت الأسمنتى الجديد ، تنظر إليـه سهام حين تطل من وقت لأخر ثم تدخل سريعا ، مـا كـان يستطيع أن يتعارك لأجلها مع أيمن المسلح بكل شيء ، أعـوان بلطجية يمنحهم أبوه الرواتب ، سنج ومطاوي تظـهر فقـط وقت العراك ، أموال كثيرة تمنحها تجارة الأسماك الرائجة ، رزق وفير مـن بحـيرة المنزلـة المترامية ومزارعـها العريضـة ، يلعبون بالفلوس لعب ، مع من يخوض المعركة ، ما هو السـلاح الذي يملكه ؟
مؤهله ....
تعسا له من مؤهل ، يظل يلعنه آلاف المرات ، ليته صار بلطجيـا مثل أحد هؤلاء الذين يراهم من أمامه فى الشـارع يروحـون ويغدون ، ليته ما كان خجولا ، كان وقف فى السوق يعـرض الملابس الحريمى ، مكاسبها عالية ، جيبه كان سيصير ممتلئا، لو كان يستطيع أن يفعل ، الأمواج التى رآها تزحف نحوه صورتهـا جاثمة فى ذهنه البحر العالي المخيف وموجـه الـذي يطويـه، ماذا يكون ؟

كان يموت، يغرق فى البحر الهائج ويغــوص إلى القـــاع ، قــد يذهب غدا الى السينما فيدفن فيها وقته ، صار يـــتردد عليـــها كثيرا ، يحاول أن يغرق همومه فيها ولكنها لا تغرق أبدا ، تطفو سريعا على السطح ، تمنحه السينما الخدر المؤقـــت اللذيـــذ ، تجعله يعيش فى عالم أخر بعيد عن عالمه المليء بالإحباط ، تـــتردد أغانى أم كلثوم فى الشرفة الخشبية الواسعة، يطل منها علـــى الشارع المظلم ، يغيب حينا فى نعاس خفيف ثم يعاود الاستيقاظ مع بداية جديدة لـ " لحن آخر " يبهت لون الليل تبتعد صـور الكابوس عن ذهنه الواعى ، تمرق فى السماء نجمة مذنبة يتتبعـها حتى تختفى.

الخال يراه قادما يفتح له ذراعيه ،يعتذر عن جفائه كل السنوات الماضية وعن ابنته هدى التى منحها لرجل آخـــر ، يقـــول لــه "سوف أوظفك فى عمل ممتاز تحقق فيه طموحك وأحلامـــك" تجرى نحوه سهام بعد إعراضها عنه فى الأمس ، ترمى بوجهها فى صدره ، تتخلله عيناها الرقيقتان ويذوب فيهما ، تعتذر لـــه هدى عن ترفعها عليه وعن زواجها من آخر تسيل من عينيـــه دموع ،تتدفق بغزارة، ينتحب بصوت مكتوم.

ولما نودي في بغداد بالأمان، خرج من تحت
الأرض من كن بالمطامير والقنى والمقابر
كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم وقد
أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا
الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا
وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى
(ابن كثير)

(١٤)

الليل يدخل فجأة

الرحمة من عندك يا رب .

عناوين الصحف حمراء بلـــون الــدم " طــائرات التحــالف سحقت العراق "

" المدن العراقية أصبحت مهجورة تسير فيها الأشباح ، ظلام تام في كل مكان "

" الكباري تهدمت ومحطات الطاقة ضربت "

تتهادى الفاتنة سهام ذات السبعة عشر ربيعا بملابس غاليـــــة ، أنيقة ، شعرها المصبوغ يتكلف الكثير .

هل يصحو ذات يوم على الزينات تعلق فوق بيتهم؟

هل ستضيع منه نهائيا أم هناك أمل ؟

هل يستطيع الفوز بها ؟

يلعن الصمت .

لو كان اعترض طريقها فى الشارع وباح بـــالهوى الجـــارف فى كيانه !

لو كان ....

يظل يلعن البطالة والصمت ...... والظروف.

يحلم، لا يملك غير ذلك!

رفيقه صبري خريج الهندسة يقف فى أحد المحلات يبيع الســجائر والمياه الغازية وبعض العطور ، يجلس عنده ، يرقـــب المــارة ، يتجاذب معه الحديث حين تهدأ حركة البيع ، لا يرى سهام أبـدا وسط المارة الذين أمامه .

يقول له صبري : لماذا لا تفعل مثلى ؟

- أقف فى أحد المحلات ؟!

– وماذا فى ذلك ، انا زى ما انت شايف والحمد لله .

يصمت ، يفكر ، يأخذ صبري تسعين جنيها لا غير ، يقنع بهـــم رغم ضآلتهم .

– بدل قعدتك كده ، أنظر إنى أتعلم اللغة الألمانية الآن .

– لماذا ؟

– من يدري ، لعلى أستطيع السفر لألمانيا أو هولندا والابتعـــاد عن هذا البلد نهائيا .

– وإذا لم تأت فرصة السفر ؟

– أسعي وأنا باشتغل مش قاعد .

يحلم بخاله وكيل الوزارة ، بكتبه التى قرأها فى الصغر ، بتفوقـه الدراسي فى مراحل التعليم بلا جدوى أو فائدة. أراد أن يصبـح طبيبا ذات يوم ليشفي كل البشر، يا لسذاجته حين ذاك ، ضآلة تفكيره .

يتكلم مع صبري عن الرياضة التى يكرهها ويحبها صبرى وعـن السياسة التى يحبها ويكرهها صبرى وعن المدينة الحـسـرة الـتى يريدون خنقها والقضاء عليها مع خطة الإصلاح الاقتصاديـة وآلاف البورسعيدية الذين أضحوا فى بطالة بلا عمل . يتكلـم عن انتشار الجرائم فى المدينة :

– بالأمس قتل أحدهم عجوزا مسنة خنقها بلا رحمة ، سـوار واحد أودى بحياتها !! يقول صبري :

يستزيده فيسرد عليه باقى الحكاية :

– كانت تمشي بين العمارات ليلا ، هجم عليها ، تركها جثـة هامدة بعد أن انتزع الذهب .

وبالأمس ....

يغيب مع حكاياته ، يقول له وهو ساهم :

– المدينة تموت !!

يعقب صبري : ما هي ماتت هيه لسه !!!

ترتفع مرارة فى حلقه ، يردد : مش كفاية حرب الخليج.

يسبح ، سنواته الخمس والعشرون غير كافية ليفـــهم العـــالم ، يغرقون فى الكلام عن البلاد الأجنبية ومجتمعاتها المفتوحة المفعمــة بالحرية والطموح .

تتردد فى حلق كل منهما كلمات رجاء وتمن.

بين الحين والأخر يخرج صبرى لأحمد بعض الصور عـــن لنـــدن وباريس ونيويورك وباقى العواصم البعيدة.

يوقن أحمد أن الحل بعيد عن خياله وعن توقعاته. يشرد ، يأتيـــه صبري بالشاي ، تأتى فتاة بيضاء مليحة الوجه ، يقارن بينـــــها وبين سهام وهدى ، تفوز سهام ، يتبعها بنظراته حـــتى يناولهـــا صبري ما طلبت وتنصرف يرتشف الشاي ، يربت صبري علـــى فخده وهو يبتسم قائلا :

– حتفرج ..

يهز رأسه ، مؤكداً :

– بإذن الله .

يسترسل فى الكلام .

يشرد أحمد ، يمضى الوقت لذيذا ، لا يشعر به ، يكتشـــف أن الليل يدخل فجأة وأن النهار يولي سريعا .

دنت نفسي من الموت واقتربت حياتي من
الجحيم. أحيط بي من كل جهة ولا نصير.
التفت لإغاثة الناس فلم تكن فتذكرت
رحمتك أيها الرب وصنيعك الذي منذ
الدهر

العهد القديم

(١٥)

خلف أسوار الميناء

ابتاع السمنية من عم سليمان فى الصباح الباكر ، سـار مـع العمال الذين كان يرقبهم وهو فى الشرفة ، دلف من باب الميناء ، العشرات فى كل مكان لا تكل سواعدهم ، أجولـة الغـلال وكراتين المعلبات ، صنادل البضاعة الممتلئة إلي حافتها ، وصـل إلي ورشة الأسمنت ، بدأ العمل،وقف وسط العمال يمسك قلمـا باليمنى ودفتراً صغيراً باليسرى .

يحصى شكائر الأسمنت المحملة فوق عربات النقل ، الميناء علـى البعد تلمع مياهه فى عينيه .

لم يكن أمامه من حل سوى هذا.

واحد ، اثنين ...... ثلاثون ......

عربة ، اثنتان ...... عدد لا ينتهي .

البديل الوحيد لهذا الغبار الذي يستنشقه هو الموت.

أقراص المنوم التي ابتاعها من الصيدلي لحظة يأسه رقدت في جرابه ميتة لا تتناولها يده.

انتصفت الظهيرة ، قبع في ظلال إحدى البنايات مع بقية العمال ، يزدرد لقيمات يابسة ، يرتشف شايا ثقيلا مثل الباقين ، كل من هم حوله أعمى الأسمنت عيونهم ، غطى رؤوسهم ، عشرة جنيهات كاملة سيقبضها في نهاية الأصيل ، ستدخل جيبه من عرق جبينه .

تردد قبل أن يقرر الموت ......

الأيدي المكدودة تتناول الطعام في صمت ، ذباب ثقيل لا يبتعد أبدأ ، أجسام منهكة لا تريحها تلك الدقائق ،شكائر الأسمنت الثقيلة لا ينتهي عددها ، المنادى يستحثهم على النهوض ، يعملون كالدواب على السقالات صعودا وهبوطا ، يحصى الشكائر يرصونها في صفوف رأسية وأفقية، تمضى الشحنات ، تمر عليه الساعات بطيئة في الورشة الأسمنتية .

رآها تقبل عليه من فوق النقع ... " قطر الندى " ...

تلك الأميرة التي أرسلها خمارويه إلى الخليفة العباسي ترتدى الحرير وتغرق في الذهب ، تحيط بها الخيول وتتهادى من حولها الجمال ، تطل عليه من الهودج في سحر ودلال وتبتسم له مشجعة .

السماء تغيم بالغبار ، الهواء مسموم ، رئتاه تحجرتـــا ، تنتـــهى الحمولة الأخيرة مع الأصيل .

يحصل على العشرة جنيهات ، ينساب مع أفواج العمال عـائدا من حيث أتى ، يتسربل بالليل البهيم الذي هبط ، يضرب موج الميناء الضعيف الرصيف الأسمنتي الذي يسير من فوقه ،هل يعود غدا ؟ يزغ السؤال في داخله قويا، العمل وسط الهواء المشـبع بالغبار الإسمنتي يخنقه ، العشرة جنيهات ترقد في جيبه ، تمنحـه الإحساس بالأمان ، تعطيه ثقة كبيرة بنفسه وبقدراته.

صار السؤال يبزغ كل ليلة وكل يوم منصـــرم ولا يلبـث أن يعود، يبتاع السمنية من عم سليمان ثم ينســاب مــع أفــواج العمال إلي الميناء.

ذات يوم نثر أقراص الموت التي ابتاعها في الهــــواء ، ضــاعت وسط غبار الأسمنت الثقيل ، يكتشف أن الحياة أعمق بكثير مـن البقاء في شرفة البيت يرقب وجه ســـهام ومـــن الذهـــاب إلي الشاطئ يسترجع حلم هدى.

الأحلام يبتلعها الغبار.

تبقى فقط صورة أيام مضت كالكابوس وأيام ستأتي لا يـــدرى عددها أو شكلها.

هذا ما أسألك عنه أيها (الرب) أجبنى

بالصواب.....

عندما يبدأ الوجود الأمثل

هل سينالون تمام مكافآتهم هؤلاء الذين

يتوقون إليها، لأجل هذا الإنسان المقدس

بواسطة الحق ...

من تتمسك روحه بالقوة التى تداوى

الوجود...

(زرادشت)

(١٦)

في رحاب الشيخ كمال

أغسطس ١٩٩٢ ، قرص الشمس يحيل الدنيا جحيما بالنــهار ، يصلي كوكب الأرض بنار حامية في لحظة اقـــتراب شـــديدة ، الليل تصطبغ سماؤه بالرجاء الممزوج بالقوة.

ساقته الظروف ليقبع في الشرفة انتظاراً للحظة من الأمـــــان ، سار فوق الحد الفاصل بين الرجاء واليأس يغلفه ليل هــــاجع ، البيوت ساكنه والمدينة نائمة، الخال بالعاصمة صــــم أذنيـــه،

يشعر بالضياع في بحر هائج . فوق كتفه استقر حزام عريض يشبه وثاق الدواب إلي عربات الجر ، سوف يشده من خاصرة إلى البحر العميق ......!!

مشي في شارع كسري هائماً .

ماذا سوف يفعل في صحبة الشيخ كمال؟ قبع علي الرصيف المواجه لبيته شارداً ، سلم دفتر العدادين في ورشة الأسمنت إلى المقاول ، خلف الرماد من ورائه ، قبع في البيت أياما عديدة ينفق من نقود الأسمنت حتى أرشده البعض إلى ذلك الرجل ....قالوا أنه صياد طيب لا يرد أي طالب للعمل ، يرضي الجميع في نهاية اليوم ،راقب الصيادين ، يسحبون شباكهم فوق رمال الشاطئ ، يخرجونها محملة بالرزق !!

ارتفع صوت أذان الفجر يقطع أفكاره ، يعلن نهاية الهزيع الأخير من الليل ، يتوافدون الواحد تلو الأخر ، تجمع عددا يربو علي العشرة رجال بملامح جهمه ، أخيراً كمال ، عرفه من ترحاب الجميع به ....

– يا حاج كمال هذا أول ....

قاطعة وهو يشير إلي ظهر العربة السوزوكي !

– اصعد ، اصعد ، يا الله يا رجاله.

تقهقر ليصعد العربة وهو يشعر بالارتياح العميق ، وفر الرجل عليه لحظات عصيبة ، لحظات كان يعد لها ويحتسب أهميتها في داخله ، حين انطلقت العربة المكشوفة تقطع الشوارع نحو الحواجز الجمركية خارج المدينة كان يخلف كل شيء .... الأسمنت ، المصنع ، أسوار الميناء ، أمه ، زينات ،سهام ، أحلامه ، أخذها كلها الهواء الشديد ، أستقبل ساحل البحر العريض بصدر مفتوح يترقب ما يحدث في الساعات القليلة القادمة .

حين بدأوا يسحبون الشباك من أعماق المياه المضطربة كانت الأميرة تتراقص مرة أخري ، تركب عربة ذهبية وتجرها جياد مطهمه ، تأتي من قلب البحر العريض ، تركب الموجه العالية ، تفتح ذراعيها وتنظر إليه بعينيها السوداوين الغامضتين ، يتوه فيهما ، تتدافع أقدامه بعنف ، تغوص في الرمال ، يشد الشباك من البحر بخصره ، الحزام عريض لا فكاك من أسره ، يسحب مع الآخرين حتى نهاية الحبل ، يعود ليأخذ دوره من البداية ، عند حافة المياه تغسل بقايا الموجات المجهضه ساقيه ، تجعلانها نظيفة لامعة، لكن العرق والرمال لا يلبثا يغطيانها من جديد، مع قطرات عرقه تتراءى سهام تتراقص مع عريسها الشاب أيمن في ليلة من ليالي

ألف ليله ، غطت الزينات كل الشارع والحارات المحيطة بـــه ، عزفت فرقـــة محمـــد العشـــري السمســـمية حـــتى الفجـــر ألحاناً شجية عزبة ، قبع في الشرفة غارقاً في لجة مهلكـــة مـــن الحزن ولكن ....

كل شيء يمضي . ذهبت الزينـــات وانطفـــأ بريقـــا الحفـــل ، زال عنف الألم وحلت رغبة في الصمود والتماســـك رغبـــة في التواصل مع الغد المجـــهول الـــذي لا يعـــرف عنـــه شـــيئا ، تتراقص أمام عينيه شطآن من الأمل والرجاء ، المركب يعتليـــها الشيخ كمال ، يرمي بالشباك في العمق ، رحـــل هـــو أيضـــاً وظل يدفعه الريح في شراع هادئ حتى وصل الشطآن البعيـدة ، نزل إلى اليونان ، عبر إلى إيطاليا ، قطـــرات العـــرق تســـيل بغزارة ، يـــزداد نحالـــة تحـــت وطـــأة الضغـــط العنيـــف ، تغوص أقدامه في الرمال ، يتراخي الشيوخ مـــن الصيـــادين ، يزداد هو ورفاقـــه مـــن الشـــباب عنفـــاً أمـــام تراخيـــهم ، يعوضون القوة المفقودة ، رغم نحافتـــه يركـــز في اســـتماتة ، يدوس فـــوق وجـــه فـــوزي ، يمحـــق وجـــه علـــوان ، يتخلص من دنس عزه وآثامها ، تبدو له هدي ابنة خاله فـــوق الميـــاه ، يجـــري وراءهـــا بـــبراءة بينمـــا لازالا صبيـــان ، حين كبرا ....

ليتهما ظلا يجريان علي الشاطئ وفوق سطح المياه إلي الأبد ....
حين انتصفت الظهيرة كانوا يتمنون للشباك النجاة من البحـــر بتياره العنيف ، المياه زرقاء والسماء تتخللها سحب متفرقـــة ، الأمد لا نهاية له.
مشوار العمل لم يصل بعد إلى نهايته ، عليـــه أن يـــداوم علـــي الكدح وعلي الشمس أن يستمر قرصها يرسل جحيمه يلـــهب الجباه ويحرق الأجساد العارية ، يداعبهم الموج بقـــوة أبديـــه ، يخلصون منه الشباك ويجذبها منهم راغباً بها نحو الأعماق.
بين الأمل واليأس ظلوا يتأرجحون ، يتطارحون العنف ويمزجون الرجاء باليأس.
ارتمت فوق الشاطئ بضعة أكوام من السمك البوري متوســـط الحجم ، باعها الشيخ كمال في الحال ، قبض ثمنها مائة جنيـــه وضعها في جيبه وقال: الهمة يا رجاله حنرمي تاني.
عاودوا الكره ، يدأبون بأقدامهم علي الشاطئ كالدواب ، حتى المغيب بعمل رتيب متلاحق ، حتى المغيب والبحر يداعب عينيـــه والأميرة قطر الندي قد رحلت ، فقدت الأمل وقطعـــت كـــل الرجاء حتى المغيب وقد جن الليل وأقبلت عســـاكر الدوريـــة تراقبهم وتنهر الشيخ كمال حتى المغيب ولم تصعد الشباك مـــن المياه الهادرة وكان لابد أن تصعد ولو فوق أجسادهم المنهكـــة

التي غسلها العرق وطحنها جهد مميت في مواجهة قوة البحـــر المهلكة حتى المغيب . يصارعون تيار عنيف رهيـــب يســحب شباكهم إلى الأعماق ويقاومونه باستماتة ....

في النهاية خرجت.

في الليل استقرت خمسة جنيهات في جيبه، واستقر في ضلوعـــه وجع لا يقاوم ، بدت من الأم لهفة للاطمئنان عليه بينما يـــروي لها رحلة النهار من الشروق وحتى الغـــروب وتـــوالي جـــذب الحبـــال بلا نهاية انطبقا جفناه لا إراديا يلج إلي المملكة ، تلـــك المملكة التي يلقي خارجها بكل عناء الحياة ومشاقها ، يتخلـــص فيها من كل الدنيوية ويخف حتى يصبح طيفا لا وزن له ، أتته في المملكة حوريات فائقات الحسن ، حلقن من حوله ، تراءت لـــه وجوها عديدة غامضة ، ظهر وجه أبيه ينظر إليه بغمـــوض ، بكي في الحال بغزارة ، فتح عينيه ، لا زال الليل موغلا ، قـــال لنفسه .... البكاء في الحلم فرج كبير...... عاود النـــوم ، وجد نفسه يستيقظ عند الفجر نشيطا يشعر بالقوة قد عـــادت إليه وبالرغبة القوية في الذهاب إلى الشاطئ تجتاحـــه . اخـــترق شوارع المدينة النائمة مرة أخري ، اعتادت ساقاه الاندفـــاع إلي الخلف في حركة عنيفة لسحب شباك الصيد ، ألفت خاصرتـــه تلك الشدة الجهنمية . مع كل جهد عنيف يبذله يجتاحه السخط

وتشتعل بداخله الثورة . التخلف والجهل والفقـــر مســـئولون عما يعانيه ويكابده . في البلـــدان المتقدمـــة الغنيـــة يمـارس الصيد بأحدث الماكينات وأدق الأجهزة . لا يلجأون إلي قـــوة الإنسان العضلية بل إلي قوته العقلية . هذا ما يحتاجونه فقـــط . العقل وتلك الروح المتوهجة التي تحركه تدفعـــه إلي الهـــدف . لن تندفع إلي جيبه تلك الجنيهات الكثيرة الـــتي حلـــم بهـــا . لن تستطيع شباك الصيد أن تمنحه الأمان الذي كـــان يبحـــث عنه ولكن ....

بـــدأ يـــألف الشـــيخ كمـــال ، الصيـــادين كبـــار الســـن وملاذهم الآمن بالجزء المتراخي من الحبال ، هواء الفجر المحمـــل بالبرودة المنعشة ، الأمواج الهادرة في عتمة هزيع يوشك علـــي الرحيل منهزما من نهـــار علـــي الأعتـــاب، غـــذاء الظـــهيرة هو ورفاقه في منزل متهدم علي الشاطئ ، شعور بداخله قـــوي كان يدفعه للاستمرار ، الـــدوام في تلـــك الرحلـــة اليوميـــة المتعبة الشاقة ضمن له عدة أيام كاملـــة في رحـــاب الشـــيخ كمال . يصحو من الفجر ويؤوب إلي البيت قـــرب العشـــاء جسدا منهكا ، جسدا بلا طاقـــة ، روح متعبـــة ، منطفئـــة ، يملـــؤها دائما الأمـــل في غـــد أفضـــل مـــن كـــل تلـــك الأيام التي ولت.

(١٧)

أيام سمان.. أيام عجاف ..

أقبلت أسراب السردين إلى الساحل تغترفها الشباك ، تتقـــافز بداخلها فضيه لامعة ينعكس عليها ضوء الشمس فتبعث الأمـــل وتبدد رواسب أيام جدباء توالي فيها رزق قليل.

كانت العربات الشيفورلية والسوزوكي تمتلئ حـــتى الحافـــة . صاروا يطرحون الشباك مرتين وثلاثة. في المساء يصعد إلى بيت الشيخ كمال ، تفتح الباب ابنته فاطمة ، تطل عليه بوجه مليـــح تنـــادي أبيـــها فيـــأتي ويـــدس في يـــده ورقـــة بعشـــــرين جنيهاً وأحياناً يجعلها خمسة وعشـــرين ، يأخــــذها مغتبطـــاً

وينصرف ممنوناً للشيخ ولأسماك السردين ، تتقافز بوفرة علـــي الشاطئ ويرحل في العربات إلي سوق المدينـــة وتتقـــافز تلـــك الجنيهات إلي جيبه ، ذلك السمك !!!

أحياناً كثيرة كان يثور التساؤل في داخله ....

هل يستطيع أن يستمر في ذلك الدوران إلي ما لا نهايـــة، بعـــد مرور أيام عديدة بدأ يفقد تلك الرغبة القوية !! بـــدأ يشـــعر بالاغتراب عن كل هذا النهج !!!

لوحت الشمس بشرته ، صار قادراً علي أن يكـــون صيـــاداً محترفاً ، ألفه الآخرون وألفهم ولكن ....

توقف ، انقطع عن الذهاب ، امتنع عن هواء الفجر ، غاب عن تجاعيد وجه كمال المعبرة وخبراته التي يرويها.

صار في الصباح يستعرض صحيفة ، تمر عينـــاه علـــي بـــاب الوظائف الخالية ، ترفع سعاد يديها وتوجه بصرها نحو الســـماء وتدعو ، تلك السماء ....

كانت تظلله علي الدوام وتشعر بشقائـــه فـــوق الشاطئ ، تستمع إلي أناته وجسده الناحل تعتصـــره الشـــدة ، ظللته في ورشة الأسمنت وهو يخترق الميناء صباحـــاً ومســـاء ، يسير كالشبح وسط هياكل بشرية يطمس ملامحها غبار الأسمنت ، تلك السماء شهدت عليه وهو ينثر قرار موته ليتبـــدد مـــع

الهواء بعد أن قبل اختيار الحياة .... تلك السـماء ....
جاءت من أفقها الأميرة قطر الندي تتهادى عربتـها الذهبيـة
وتطل من شرفتها ناظرة إياه تبث فيه العزيمة ، يا قطـر النـدي
.... يا قطر الندي ..... تذهب بعد أن توقعـه في حبائلـها
ويظل يهفو نحو ذلك الأمد الذي اختفت فيه.. تلك السماء !!
يعيش فوق الأرض ، يتنفس بين البشر ، يتصارع مع الشـر ،
يكدح مع البؤساء والمطحونين ، لا تأبه السماء ...

ذهبت سهام إلى عريسها الشاب ، ترتمي الآن بين أحضانه بينمـا
كان يتمناها ذهبت علي أنغام السمسمية التي يحبها وفي قلـب
الليل الذي يهيم في ملكوته ، يحصي النجوم البعيدة وينـتزع
من لمعانها الأمل ، تلك السماء ...!!

صمت آذانها وعيونها عما يحدث ، أنتحر شاب في الثلاثين يأساً
من الحصول علي العمل وغيره الآلاف يفكرون في اللحاق بـه ،
تلك السماء تركته وهؤلاء العراقيين ضحية للشر ، الشر يرعـي
في كل بقعة من كوكب الأرض ، ينثر الموت فوق العراق وينثر
الظلم والفقر في باقي البقاع ، يولي الصباح ، يلملم بقية اليوم ،
يقضيه في رحاب المتجر مع صديقة ممدوح ، يغلفه الأمـان ،
أسلمته مواسم السردين إلي مبلغ من المال يرتكن إليه في الأيـام
العجاف ، يستعرض في المساء الرائحات والغاديات من فتيـات

ونساء علي ناصية ذلك المتجر وبين الفينة والأخرى يستعرض حلم السردين ، الشيخ كمال، رحلة الفجر ، الشاطئ ، وكأنها أحداث مر بها منذ زمن بعيد وليست منذ أيام قلائل .

حينما كان يمعن بفكره فيما مضي من أيام يكتشف أن الأمر كان فريدا ، شيقاً ، يشعر فيه بالمتعة الممزوجة بالعذاب . مع مرور الأيام ذهب العذاب وبقيت المتعة والتفرد ، أكتسب أشياءً خلافا لتلك النقود ، تغلغلت في داخله وتربت في أعماقه ، أصبحت جزءً من نسيجه الداخلي ، صار أكثر قوة وأشد صلابة مما كان أوان تخرجه وعمله بذلك المصنع وبتلك الإدارة ، الفساد في كل مكان ، ليس في المصنع أو إدارة فوزي وحدها ، الفساد في ورشة الأسمنت ، في عذاب الشاطئ وكدح صيادية ، أخبروه الشيوخ أن الدم لا يتوقف عن النزف من فتحات شرجهم ،أخبروه أنها ضريبة المهنة ، يدفعونها حين يحل الكبر ويذهب شرخ الشباب ، الفساد في الدولة ذاتها وفي كل إداراتها وهيئاتها ومؤسساتها ، الفساد في أنظمة الحكم ،اكتشف أن الفساد في العالم كله وليس في مدينته وحدها ، الأمل كان يتغلب علي كل ضعفه، الرغبة في الحياة كانت تتغلب علي كل تشاؤمه وعلي كل أمواج يأسه .

يقبع في الأمسيات ينتظره ، ذلك الأمل الغامض عله يأتي.

(١٨)

دورة شمسيــة

حين راح علاء الدين يضرب في مصباحه السحري خـــرج لـــه الجنى . أمره ببناء قصراً طلسماً ، قصراً بأبراج عاليـــة تنـــاطح عنان السماء ، تدور في أبهائه الجواري الفاتنات بوجوه كالبدر .
حين راح علاء الدين يفعل ذلك كان أحمد ينظر في المدى علــــه يراها ، تلك العربة الذهبية ، المحلاة باللازورد ، عربتها المحاطـــة

بعشرة خيول مطهمة وموشاة بأسرجة من الذهب الخالص ، منحها الخليفة العباسي لها بعد أن وصلت بغداد، ودعت هودج السفر وسكنت في القصور ، ترفل في الحرير وتغرق في الذهب ، تستحم بماء مخلوط بالعطر ، تقبل عليه ، تأخذه معها إلى عالم بعيد ساحر ، ينظر إلى قصر علاء الدين ، يتضاءل من تحته وهو يطير مع العربة والأميرة حتى يبلغ السحب ....

يا أميرة .... يسبح ، حين يحط فوق السحاب تقبل عليه ،تخبره أنها ما أحبت غيره وأنها وقعت في هواه من قبل أن يزوجها أبوها لذلك الخليفة ، ترتمي في أحضانه ويظل الأمد يتسع إلى ما لا نهاية.

الوقت ينساير من العام ولا زال كوكب الأرض على ما يبدو شديد التأثر بنجم الشمس العملاق رغم حلول الشتاء ، يقول العلماء أنها دورة شمسية تأتي كل مائة عام فيزداد فيها نشاط النجم وتتوالي الانفجارات العنيفة فوق سطحه الملتهب. فوق الأرض يحل الشتاء قارس البرودة مصحوباً بالزمهرير ، يقبل الصيف ملتهباً شديد الحرارة وتجتاح الفيضانات البلدان وتتوالي الهزات العنيفة في كافة الأرجاء.

ولا تزال أثار عاصفة الصحراء ودمارها مخيما علي الأجـــواء ، كل شيء باهت بلا طعم أو لون ، أتت الأساطيل والجيوش التي احتشدت منذ العام علي شعب العراق ، بات شعبا مـــهزوما ، مقهورا ، محطما ، جائعا ، بائسا

" الأطفال العراقيون لا يجدون الدواء .... "

" الشيوخ والعجائز لا يتحصلون علي الطعام ...."

" الكوبونـــات أصبحـــت وســـيلة التعـــامل في الحيـــاة اليومية ، كوبونات للدقيق ، كوبونات للزيـــت ، كوبونـــات للدواء ، كوبونات للبنزين ،كوبونات ..... " يتذكـــر تلـــك الكوبونات التي كانوا يتعاملون بها إبان فترة الستينيات ، كـــان الاقتصاد المصري موجها للجبهة ، الحروب العديدة اســـتنزفت كل قواه ، يتألم أشد الألم للعراقيين ،محنتـــه لم تدمـــر حواســـه الداخلية بل أيقظتها وجعلتها شـــديدة الرهافـــة ، العراقيـــون محتشدون معه في دورة شمسية عنيفة لا تأتي رياحها بما تشـــتهي السفن ....!!

من يدري متي تحط تلك السفن فوق شطآن جميلة .... ،،

حين ينتهي قرص الشمس من دورته الشمسية العنيفة...

متي ينتهي . . .

فهرس

صدر للمؤلف:

١. أجواء خريفية مجموعة قصصية ١٩٩٦
٢. فتاة القطار مجموعة قصصية ١٩٩٨
٣. برد محتمل مجموعة قصصية ١٩٩٩
٤. السماء كم هي بعيدة رواية ٢٠٠١